مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 7/ العـدد: 3 (2019)، ص 72- 92

الجزائريون و قضية فلسطين (1920- 1954)

الأستاذ: بن يغزر أحمد[1]

[1]جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة- الجزائر

تاريخ الاستلام: 2019/11/10 تاريخ القبول: 25 /2019/11 تاريخ النشر: 2019/12/01

لم يمنع الاحتلال الفرنسي للجزائر، وسياسته القائمة في إحدى أقسى وأبشع أوجهها على محاولات عزل الجزائر عن مجالها الحضاري العربي الإسلامي، بكل الوسائل والطرق – لم يمنع ذلك- الجزائريين من أن يكون الوضع في البلاد العربية من اهتماماتهم بشكل أو بآخر.

الأكيد أن التواصل لم يكن سهلا خلال فترة الاحتلال، ولم يكن تداول تطورات الأخبار والأحداث بالصورة التي نعرفها اليوم بفضل التطور التكنولوجي الهائل على مستوى وسائل الاتصال والإعلام. غير أن ذلك لم يجعل الجزائر من خلال نخبتها الواعية، وحركتها الوطنية النشطة بمختلف توجهاتها، تغفل عن تحري الوضع في المجال الجغرافي الذي ترتبط به حضاريا وثقافيا، بل وحتى سياسيا، مستغلة من أجل ذلك كل ما يتاح من فرص وطرق...

هذا رغم شكوى بعض الجزائريين في هذه الفترة من أن الاهتمام من نخبة المشرق وصحافته بأوضاع الجزائر لم يكن بنفس المقدار والدرجة الذي يوجد عند الجزائريين اتجاه أحداث المشرق وقضاياه[1].

المؤلف المرسل: الأستاذ: بن يغزر أحمد

1 - من ذلك ما كتبه فرحات الدراجي نائب الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين في مقال نشر في جريدة البصائر بعنوان "عتاب إلى إخواننا الشرقيين" بتاريخ 03 ديسمبر 1937.

ومن القضايا التي كانت محل اهتمام الجزائريين بشكل خاص، تطور الأحداث على أرض فلسطين منذ أن بدأت ملامح ومقدمات تعاظم النفوذ اليهودي والصهيوني تحت غطاء الانتداب البريطاني الذي فرض علي فلسطين بداية من سنة 1920، أي في فترة مبكرة تعود إلى الإرهاصات الأولى لهذه القضية.

ومن ذلك أن عمر راسم[2] الكاتب الصحفي الجزائري ، نشر مقاله في جريدة (ذو الفقار)[3] في 28 جوان 1914 بعنوان "المسألة الصهيونية" وقعه باسم مستعار: ابن المنصور الصنهاجي معلقا على مقالة نشرت بجريدة (المنار) القاهرية بقلم الشيخ رشيد رضا تحدث فيها عن جمعية يهودية تسعى إلى تكوين دولة لليهود في "البلاد المقدسة من مملكة العثمانيين" وكيفية تعامل العرب مع هذا الأمر.

فكتب عمر راسم قائلا:

"إن اتفاق زعماء العرب الفاتحين، وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل لأنه اعتراف بزعامة اليهود، فلا يحق لغير العرب، وهم أبناء إبراهيم الأصفياء الموعودون بتلك البقعة المطهرة، أن يملك تلك الأرض،ولا لغير راية الإسلام أن تخفق عليها مادام في عرق العرب دم، وفي أجسام المسلمين روح".[4]

2 - عمر راسم: ولد سنة 1883 بمدينة الجزائر، عرف بأفكاره الإصلاحية متأثرا بالشيخ محمد عبده، كما عرف باهتمامه المبكر بخطر الصهيونية، صاحب جريدة (ذو الفقار) توفي سنة 1959 بالجزائر

3 - جريدة أصدرها عمر راسم في 15 أكتوبر 1913 أسبوعية، صدر منها 04 أعداد ثم أوقفتها السلطات الاستعمارية الفرنسية.

4 -نقلا عن : صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثورية (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)، ص 35.

وهذا الوضوح والمبدئية في الموقف هو الذي دفع أحمد توفيق المدني[5] إلى القول مشيرا إلى جريدة (ذوالفقار): "... وكانت أول جريدة عربية في الدنيا، اكتشفت الخطر الصهيوني، ونبهتعليه."[6]

والواقع أن اهتمام الجزائريين بفلسطين في هذه الفترة لم يأخذ شكلا واحدا، بل برز بعدة صور، وكان هذا الاهتمام يصل مداه كلما سجلت هذه القضية حدثا بارزا، أو تطورا جديدا كالحديث عن مشروع التقسيم، أو قيام الكيان الصهيوني سنة 1948.

ويمكن أن نحدد أهم صور هذا الاهتمام بالأشكال التالية:

1- التناول الصحفي:

كانت الصحافة الوطنية الصادرة عن تشكيلات الحركة الوطنية المختلفة، من أبرز ما عكس اهتمام الجزائريين بالقضية الفلسطينية، سواء بما كانت تخصصه من حيز لأخبارها وأحداثها، أو بما كانت تنشره من مقالات، وبيانات، ومواقف لرموز الحركة الوطنية وبعض الكتاب والصحافيين.

فبالإضافة إلى مقال عمر راسم المذكور سابقا تعليقا علي ما نشرته جريدة المنار ، كان من أوائل من تناول الحديث والكتابة عن فلسطين الصحفي محمد سعيد الزاهري:[7] "الذي كان شديد الاهتمام بالحركة الصهيونية، شديد الانتقاد لها، وقد كتب مقالات عديدة يفضح مخططاتها بالاستيلاء على فلسطين."[8]

---

5 - أحمد توفيق المدني: ولد بتونس سنة 1899، تخرج من الزيتونة، ذو ثقافة واسعة باللغتين العربية والفرنسية، من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تقلد عدة مناصب سياسية قبل وبعد الاستقلال، من أشهر كتبه: كتاب الجزائر، توفي سنة 1983.

6 - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر (مصر، دار المعارف، 1963)، ص345.

7 - محمد سعيد الزاهري: شاعر وصحافي، من مواليد سنة 1900 ببسكرة، أصدر سنة 1925 صحيفة (الجزائر)، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، توفي في ماي 1956.

8 - محمد رزمان، معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ البشير الإبراهيمي (الجزائر، منشورات جامعة باتنة 1989)، ص 140.

ومن بين ما كتب مقالة نشرها في جريدة (البرق)[9] سنة 1927 تناول فيها: "زيارة محامي يهودي مفوض من إحدى الجمعيات اليهودية الأوروبية بالجزائر ليجمع التبرعات من اليهود الجزائريين لإعانة إخوانهم الإسرائيليين."[10]

"... ولما جاءت الحوادث الدامية بين العرب والصهاينة حول حائط المبكى سنة 1929... نشر[الزاهري] مقالا في جريدة (الإصلاح)[11] سنة 1929 تحت عنوان (فضائح الصهيونية في فلسطين) مما جاء فيه: أيها المسلمون الجزائريون: هل سمعتم بأن الصهيونية وبلاشفة اليهود في فلسطين قد اغتصبوا البراق الشريف."[12]

وفي سنة 1930 كتب أبو اليقظان[13] في جريدة (ميزاب)[14] العدد الأول:

" إن كل من يمعن النظر، ويدقق البحث في قوادم المسألة وخوافيها، يجد أن المسألة ليست مسألة المبكى والبراق، وإنما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني، الناشب مخالبه في عنق العالم، الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام، و جنته الأرضية، ومقر أنبياء الله فلسطين، وليست السياسة الإنجليزية في

9 - جريدة أصدرها محمد سعيد الزاهري، وعبد المجيد رحموني بقسنطينة في 1927/03/07.

10 - محمد رزمان، مرجع سبق ذكره، ص 140.

11 - جريدة أصدرها الشيخ الطيب العقبي، وكان أول ما صدر من أعدادها في: 1927/09/08

12 - أحمد شفيق أبوجرر، العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي، مواقف وأسرار (الجزائر، دار هومة، 2004)، ص 158، 159.

13 - أبو اليقظان إبراهيم: ولد سنة1888 بالقرارة، واصل دراسته في الزيتونة ثم الخلدونية بتونس، أصدر أول جرائده سنة 1926 "وادي ميزاب"، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، وأصبح عضوا في مجلسها الإداري سنة 1934، توفي في 30 مارس 1973.

14 - طبع العدد الوحيد منها في تونس، وصدر في 1930/01/25، وأوقفت مباشرة بعد هذا العدد على يد الوالي العام في الجزائرأنذاك.

الواقع اتجاه هذه المسألة، إلا سياسة مأسورة مسخرة، لا إرادة لها إزاء الضغط الصهيوني الخفي، وإلا لما أرخت العنان للطغيان الصهيوني إلى هذه الدرجة."[15]

ثم يضيف: "إن حكومة الإنجليز تعرف كل شيء، وتعلم سائر المسببات في هذه المسألة، فإرسال لجنة للتحقيق إلى فلسطين، ومواصلة البحث والتنقيب فيها، ما هو إلا من قبيل ذر الرماد في الأعين."[16] وفي نفس السنة نشرت مجلة (الشهاب)[17] مقالا لأحمد توفيق المدني بعنوان: (شهداء فلسطين الدامية) تعليقا على إعدام ثلاثة شبان عرب قائلا إن ما حدث:

"ما كان يوم حزن وكدر، إنما كان يوم الفاتحة الرهيبة، فاتحة النضال العنيف، فاتحة الاستشهاد والتضحية والتحرير، كانت فلسطين مجاهدة إلا أنها لم تقدم في جهادها ضحايا وشهداء، وكل جهاد خلا من الضحايا والشهداء يعد جهادا عقيما."[18]

كما كتب أيضا في مجلة الشهاب في جويلية 1937:

"... لكن نقطة الإحساس في العالم العربي اليوم، إنما هي نقطة فلسطين، والخطر الراهن الذي يهدد العرب في كيانهم، وفي حياتهم، وفي وحدتهم إنما هو خطر فلسطين" ويضيف: "إن الواجب المحتم على كل عربي مسلم في أي قطر من أقطار الأرض، هو أن يقف إلى جانب أخيه عربي فلسطيني ينصره ويؤازره، ويضحي إلى جانبه أعلى تضحية، وأعز التضحيات، مهما كلفه ذلك، فالمسألة ليست مسألة بلاد نائية، وليست مسألة محلية لا تهم إلا أهل فلسطين وحدهم، بل إنما هي مسألة العالم العربي بأسره، بله العالم الإسلامي برمته، وكل اقتطاع من أرض

15 - جريدة (ميزاب) العدد 01 في 1936/01/25 نقلا عن: صالح خرفي، في رحاب المغرب العربي (بيروت، دار العرب الإسلامي، ط1، 1985)، ص 157.

16 - نفس المرجع، ص 158.

17 - مجلة كان يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس أسبوعيا، واستمرت كجريدة إلى غاية 1929 ثم تحولت إلى مجلة علمية شهرية.

18 - أحمد توفيق المدني، "شهداء فلسطين الدامية"، الشهاب ج6م5 (أوت 1930)، ص 498، 499.

فلسطين إنما هو حز في رقبة العرب، ونحر للعالم الإسلامي من وريده."[19]

زادحجم هذا الاهتمام بالقضية الفلسطينية على مستوى الصحافة المكتوبة في فترة الثلاثينات، مع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 05 ماي 1931،بعد فترة من النشاط الفردي بقيادة الشيخ ابن باديس ، ثم حزب الشعب الجزائري سنة 1937كاستمرار لنجم شمال إفريقيا بقيادة مصالي الحاج ، وإصدارهما لعدد من الصحف والمجلات، كانت تخصص مساحة لأخبار المشرق، وتتابع ما يحدث هناك من تطورات وخصوصا في ما يتعلق بفلسطين.

ففي سنة 1938 كتب ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين افتتاحية في مجلة (الشهاب) بعنوان "فلسطين الشهيدة" مما جاء فيها:

"... فليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار من جهة، والضحية فلسطين، والشهداء حماة القدس الشريف، والميدان رحاب المسجد الأقصى."[20] كما كتب الطيب العقبي مقالا هاما في جريدة البصائر بعنوان "لبيك، لبيك فلسطين، فما أنت لأهلك فقط ولكنك للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين" عبر فيه عن أسفه، وأفصح عن ألمه تجاه ما يعانيه الشعب الفلسطيني، بقوله:

"... لهذا فإن كارثة فلسطين لم تكن بأمر يخص أهلها فحسب... ولكنها كانت مأساة عامة، وكارثة عظمى حلت بالعالم الإسلامي كله، والعرب أجمعين، فمن من الناس اليوم من لا يلهج باسم فلسطين الشهيدة الدامية، فلسطين الثاكلة، فلسطين الباكية الشاكية الحزينة، فلسطين ضحية الاستعمار الغاشم.. أراد الإنجليز العتاة البغاة، تقديمها على مذبح مطا معهم ومصالحهم الخاصة

19 - أحمد توفيق المدني، الشهاب، ج6م5 (جويلية 1937)، ص 285، 286.

20 - عبد الحميد بن باديس، "فلسطين الشهيدة"، الشهاب، 1938، ص 2.

لقمة سائغة للآكلين، وغنيمة باردة لشذاذ العالم، ونفاية الأمم من الصهيونيين."[21]

وفي حفل نظم بمناسبة يوم فلسطين الذي دعت الجامعة العربية إلى إحيائه في كل البلاد العربية والإسلامية يوم 03 أكتوبر 1947 في نادي الترقي بالجزائر العاصمة، ألقى العقبي خطابا مؤثرا قائلا: "لإظهار الاتحاد العملي، والتضامن الفعلي سأعلن راية الجهاد وأذهب بنفسي تاركا الأهل والولد."[22]

بعد نكبة 1948، ورغم الأسى والحزن الذي خلفته لدي الجميع، فإن الكتاب والصحفيين الجزائريين لم يتوقفوا عن تناول قضية فلسطين: "وكانت البصائر بافتتاحياتها بقلم الشيخ البشير الإبراهيمي ترسل صواعق على الاستعمار وأذنابه، هنا وهناك، تشرح القضية الفلسطينية خاصة والقضايا العربية عامة، وكانت قضية فلسطين تظهر تقريبا في كل عدد من أعدادها طوال عامي 1947 و 1948 بجانب ما يكتبه احمد توفيق المدني في ميدان السياسة العالمية."[23]

كما خصص الإبراهيمي سلسلة من المقالات كانت تنشرها جريدة البصائر تناول فيها قضية فلسطين، وطبيعة الصراع فيها، داعيا من خلالها إلى الوحدة والتضامن بين العرب والمسلمين من أجل استرجاعها.

ومما كتبه مثلا:

"أيظن الظانون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة، تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها، لا والله، ويأبى لها ذلك شرف الإسلام، ومجد العروبة، ووشائج القربى، ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة

21 - جريدة **البصائر**، عدد 78، السنة الثانية، 13 أوت 1937.

22 - أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (ط1 ،الجزائر، دار هومة، 2007)، ص 413.

23 - أحمد شفيق أحمد أبو جزر، مرجع سق ذكره، ص 185.

لمصلحته، وأبى حلها لمصلحته، وقايض بفلسطين لمصلحته، هو الذي يباعد بين أجزاء الإسلام لئلا يلتئم، ويقطع أوصال العروبة كي لا تلتحم، وهيهات لما يروم."[24]

ثم يخاطب العرب قائلا:

" أيها العرب إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم، وهممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست حقوق العرب فيها تنال بأنها حق في نفسها، وليست تنال بالهوينا والضعف، وليست تنال بالشعريات والخطابيات، وإنما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة.

إن الصهيونية وأنصارها مصممون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه، وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه."[25]

من المهم هنا أن نلاحظ أن الاهتمام بقضية فلسطين لم يقتصر على صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولو أنها كانت أكثر اهتماما مقارنة بغيرها، فقد: "أشادت جريدة (الأمة)[26] التي أسسها مصالي الحاج عام 1930 بكفاح الشعب الفلسطيني، وكشفت سياسة انجلترا الإمبريالية في فلسطين، ووقفت ضد مشروع التقسيم."[27] ونشرت في أحد أعدادها سنة 1936 مقالا بعنوان (الحوادث في فلسطين) معلقة علي الثورة التي كان يقودها الشيخ عز الدين القسام مماجاء فيه :

"يطلب من كل العرب والمسلمين في شمال إفريقيا التظاهر ضد ما يجري في فلسطين، والعمل على إيقاف المجازر المرتكبة هناك، وإرسال الاحتجاجات إلى

24 - أحمد طالب الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (ط 1 ،لبنان، دار العرب الإسلامي، 1997) ج3، ص 438.

25 - المرجع نفسه، ص 438.

26 - جريدة كان يصدرها مصالي الحاج سنة 1930 خلفا لجريدة- الإقدام- لسان حال نجم شمال إفريقيا.

27 - أحمد شفيق أبو جزر، مرجع سبق ذكره، ص 193.

الحكومة البريطانية، والمندوب السامي البريطاني في القدس، وتقديم العون المادي والمعنوي."[28]

وتعليقا على مشروع هيئة الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين سنة 1947 كتبت جريدة (المغرب العربي)[29] التابعة لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية: "إن قرار هيئة الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين العزيزة يعتبر إعلان حرب على العالم العربي الذي ينظر من العراق إلى المغرب الأقصى إلى فلسطين العزيزة بعين الاعتبار والتقدير، ويرى قضيتها حيوية بالنسبة لجميع العرب، وعرب الجزائر المتآزرين مع إخوانهم في فلسطين، وفي العالم العربي لن يعترفوا أبدا بهذا الواقع الفاشي ... وهم يشهرون بالإمبريالية الصهيونية التي تحاول في الواقع تحويل فلسطين إلى قاعدة عسكرية قصد تركيع الشرق الأوسط بأكمله."[30]

ومن جهة أخرى فإن تيار النخبة والنواب ورغم خصوصيته الإيديولوجية لم يتخلف عن إبداء مواقفه من القضية الفلسطينية، وكان ذلك عن طريق صحيفة (الوفاق الفرنسي- الإسلامي)[31] الصادرة باللغة الفرنسية.

صحيح أن ذلك لم يكن بنفس حجم اهتمام التيارين السابقين بهذه القضية، فقد كان اهتمام هذا التيار بدرجة أقل بقضايا العرب والمسلمين عموما، وهو ما يتناسق وينسجم مع توجه التيار وإيديولوجية أصحابه ورموزه المتشبعين باللغة والثقافة الفرنسيتين.

---

28 - نفس المرجع، ص 194.

29 - جريدة مقربة من حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1947.

30 - Jean- Paul chagnollaud, Maghreb et palestine (paris, sindbad, 1977), pp :84,85.

31 - لسان حال اتحادية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة، وكان يشرف عليها فرحات عباس، وتصدر باللغة الفرنسية ما بين 1935- 1939.

غير أن موقف هذا التيار تطور بعد الحرب العالمية الثانية، و إثر تطورات الأحداث التي زادت من وضوح ومظلومية القضية الفلسطينية بعد قيام الكيان الصهيوني سنة 1948،فلم يعد من الممكن التغاضي عنها ، فكتبت صحيفة (الجمهورية الجزائرية)[32] مقالا تحت عنوان (المأساة الفلسطينية) مما جاء فيه:

" نحن نأسف بكل صراحة أن الإمبريالية العالمية المتواطئة مع الإمبريالية الصهيونية، فرضت على البلدان العربية الناشئة منطق القوة هذا، ولكننا نبقى واثقين أن الجيوش العربية لن تتراجع أمام أية تضحية لتفرج عن الشعب الفلسطيني الشقيق، بجعل نهاية للحلم المزعج الذي يعيشه منذ 32 سنة، والقضية العربية الفلسطينية قضية عادلة، وكمثيلاتها لابد أن تنتصر، والشعب الجزائري بأكمله يأمل ذلك من كل قلبه." [33]

إن هذا الاهتمام بالقضية الفلسطينية إعلاميا، تتبعا للأخبار، وكتابة للمقالات، سيشهد نوعا من التراجع والإنحسار مع بداية الخمسينات لأسباب تتعلق بتطورات القضية نفسها وخاصة إنعكاسات هزيمة الجيوش العربية في حرب 1948، وبالوضع الجديد الذي ستدخله الجزائر عند اندلاع الثورة الجزائريةسنة 1954 التي فرضت نفسها كأولوية، ولهذا نلاحظ أن جريدة مثل (المجاهد) اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني خلال الثورة الصادرة باللغة الفرنسية، لم تتناول موضوعها إلا نادرا، وهذا لا يعني بطبيعة الحال أن الثورة لم يعد لها موقف من فلسطين، وإنما المسألة تتعلق بإعطاء الأولوية والتركيز للثورة أساسا.[34]

32 - جريدة كان يصدرها فرحات عباس باللغة الفرنسية، بداية من 1944/09/15، توقفت عن الصدر سنة 1955.

33 - J. P .chagnollaud, op. Cit. p 84.

34 - ibid. p 88.

2- تأسيس الهيئات الداعمة:

لم يقتصر دعم الجزائريين للقضية الفلسطينية، على التناول الصحفي، وإبراز التأييد والمساندة عبر الجرائد والمجلات فقط، بل إنه كان يتطور أحيانا إلى نوع من التضامن المهيكل من خلال تأسيس هيئات داعمة تتكفل بالحشد والتعبئة، وإسناد التأييد المبدئي بالدعم المالي والسياسي.

ونرصد في هذا الإطار ما قام به الشيخ الطيب العقبي، حيث: "أسس في أواخر سنة 1947 لجنة الدفاع عن فلسطين، في نادي الترقي بالجزائر العاصمة، التي أحييت في (03) أكتوبر من نفس العام مهرجان خطابي تعبوي، تبارى فيه الخطباء في فضح الإجرام الصهيوني ... وقد خطب فيه الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، وأبو بكر بن مصطفى الزاهري، وإبراهيم بوحميدة، ومحمد الحسن الورتلاني، والعلامة الشيخ الطيب العقبي."[35]

وكان هذا المهرجان استجابة لدعوة جامعة الدول العربية بجعل جمعة 03 أكتوبر من السنة نفسها، جمعة إظهار التأييد والمساندة لفلسطين في كل البلاد العربية والإسلامية.

ومن أجل إعطاء هذا الدعم مداه: "اقترح العقبي أن يؤسس على رأس كل مدينة أو قرية لجنة للدفاع عن فلسطين، وتتولى جمع التبرعات، وتسجيل أسماء المجاهدين والمجاهدات الذين يرغبون في التطوع للذهاب إلى فلسطين، وقد أسند العقبي هذه المهمة لمصالي الحاج زعيم حركة الانتصار."[36]

واستمرارا لنفس الجهد، عمل الطيب العقبي على تحويل لجنته التي أسسها سنة 1947 إلى هيئة أقوى وأوسع، تشارك فيها الحركة الوطنية بمختلف أطيافها

35 - عبد الغني بلقيروس، صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين 1948- 1949 (ط1،الجزائر، دار الخلدونية، 2010)، ص 52.

36 - أحمد مريوش، مرجع سبق ذكره، ص 416.

ورموزها، فالقضية الفلسطينية أكبر من تكون حكرا على جهة معينة، "والظاهر أن العقبي لم يرغب في العمل الفردي من أجل القضية الفلسطينية، وكان يرى في العمل الجماعي القوة الناجعة، وأنه آن الأوان لتوحيد الرأي العام الجزائري لتدعيم فلسطين."[37]

وهو ما سارع الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنذاك للموافقة عليه، ليليه فرحات عباس رئيس حركة أحباب البيان والحرية، مع بعض التردد من مصالي الحاج رئيس حركة الانتصار، لأسباب تتعلق ربما بمن يقود هذه الهيئة، وأنشئت الهيئة فعلا باسم (الهيئة العليا لإعانة فلسطين) في 14 جوان 1948، وكانت تضم في لجنتها التنفيذية كل من البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، فرحات عباس، وإبراهيم بيوض.

وقد خصص الشيخ الإبراهيمي مقالا كاملا في جريدة البصائر شارحا حيثيات تشكيل هذه الهيئة والتباينات والاختلافات التي رافقتها.[38]

تمحورت مناشط هذه الهيئة وعملها حول إرسال البرقيات والعرائض للدول والهيئات المعنية احتجاجا على ما يحدث في فلسطين بعد الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني في 15ماي 1948، كما قامت بجمع التبرعات والمساعدات، والتحريض على التعبئة والتطوع المباشر للقتال على أرض فلسطين.

وفي نفس الإطار تأسست (الهيئة الجزائرية من أجل فلسطين) من طرف منتخبي حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية -الذي كان امتدادا لحزب الشعب -من النواب والمندوبين في الجمعية الجزائرية، بموافقة مصالي الحاج، وذلك على إثر قيام دولة الكيان الصهيوني في ماي 1948.[39]

---

37 - نفس المرجع، ص 415.

38 - أنظر: أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 2، ص 257.

39 - Benyoucef Ben kHeda, les origines du 1er Novembre 1954 (Alger. E.Dahleb 1989) p 285.

وفي فرنسا نشط الجزائريون في المهجر بفعالية في نصرة فلسطين، باعتبار وجود عدد كبير منهم هناك من خلال جمعية (أصدقاء فلسطين العربية) ".. والتي كانت يشرف عليها روحيا المفتي محمد أمين الحسيني[40] وترأسها في الفترة الأولى اللبناني- نجيب صدقة- وكان من الناشطين في الجمعية المجاهد الدكتور شوقي مصطفاوي، والمجاهد إبراهيم معيزة، والمجاهد أمحمد يزيد، وهم من قادة الحركة الوطنية."[41]

ورغم أن هذه الجمعية لم تكن خاصة بالمهاجرين الجزائريين إلا أن حضورهم في أنشطتها الداعمة للقضية الفلسطينية كان الأبرز والأكثر عددا ، وهو ما يشهد عليه الرئيس الثاني لهذه الجمعية الدكتور توفيق الشاوي(من مصر) في مذكراته قائلا: ".. ولقد اعتمدت أساسا في كل نشاطاتي على المسؤولين الممثلين للأحزاب الثلاثة: حزب الشعب الجزائري، حزب الاستقلال المغربي، حزب الدستور التونسي، أما الجمهور، فكانوا من الجزائريين في عمومه، ولابد أن أذكر أنهم كانوا من المواظبين على حضور الاجتماعات التي كنا نعقدها للدعاية لقضية فلسطين، فكنا كلما عقدنا اجتماعا كان الجزائريين هم الذين يحضرون بالآلاف..."[42]

ورغم تعدد هيئات الدعم كما هو ملاحظ، فإنها كانت تشترك في أساليب وأشكال التحرك من أجل القضية الفلسطينية، ومن ذلك تنظيم التجمعات الشعبية بهدف التوعية والتعبئة، ونشر البيانات، وإرسال البرقيات والعرائض إلى الهيئات المختلفة كهيئة الأمم المتحدة، والحكومات الغربية، خاصة الفرنسية والبريطانية للاحتجاج على سياساتها المساندة للكيان الصهيوني، فضلا عن

40 - محمد أمين الحسيني: ولد في القدس عام 1895، استكمل دراسته بالأزهر التحق بالثورة العربية سنة 1917، ترأس مؤتمر العالم الإسلامي بالقدس عام 1931، كما ترأس الهيئة العربية العليا لفلسطين التي شكلتها جامعة الدول العربية سنة 1946، توفي سنة 1947.

41 - عبد الغني إبراهيم بلقيروس، مرجع سبق ذكره، ص 62.

42 توفيق الشاوي، مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي (1945- 1995)، (ط1، مصر، دار الشروق، 1998) ص 52.

النشاط الإعلامي، وحشد الدعم المالي، بل وحتى فتح قوائم التطوع للمشاركة في الجهد العسكري خاصة بعد قيام دولة الكيان الصهيوني في ماي 1948.

وبطبيعة الحال فإن هذا التفاعل والتأييد لم يكن بعيدا عن أعين السلطات الاستعمارية الفرنسية، بل كان تحت الرقابة الشديدة مع كل محاولات الإفشال والتشكيك في فعاليته .

3- الدعم المالي:

رغم الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيشها الأغلبية الساحقة من الجزائريين، إلا أن ذلك لم يمنعهم من المساهمة في الدعم المادي والمالي، عندما تكون القضية الفلسطينية في حاجة إلى ذلك، وهذا ما جعل الأحزاب الوطنية المختلفة، والهيئات التي أنشئت لغرض إبداء التضامن مع فلسطين تبادر إلى تنظيم حملات التبرع المالي.

فعلى إثر الثورة الفلسطينية سنة 1936، والتي قادها المجاهد عز الدين القسام: "سارع الشيخ ابن باديس إلى فتح اكتتاب لجمع الأموال لصالح فلسطين، وقدم طلبا إلى الولاية بذلك، وعقد اجتماعا لبعض أعضاء الجمعية في 18 جوان من نفس السنة بنادي الاتحاد في قسنطينة بهدف تكوين لجنة تتكفل بجمع الأموال وإرسالها إلى الفلسطينيين"[43]، ورغم منع الإدارة الاستعمارية، ورفض الترخيص للاكتتاب إلا أن ذلك لم يمنع من المواصلة في عميلة التبرع.

وفي هذا الإطار نظمت جمعية العلماء المسلمين، واستجابة لنداء علماء الأزهر الشريف بإحياء يوم فلسطين يومي 22 و23 سبتمبر 1938 نشاطا تضمن في فعالياته جمع الأموال لصالح فلسطين، وتكونت لهذا الغرض نفسه (لجنة إغاثة الشعب المسلم في فلسطين) في شهر أوت من نفس السنة برئاسة الشيخ

43 - يوسف مناصرية، النشاط الصهيوني في الجزائر (1897- 1962) ط1، (الجزائر، دار البصائر 2009) ص 276.

العقبي(باعتباره الأكثر تحمسا لهذا الموضوع) : "ولم يكن هدفها جمع الأموال لصالح الفلسطينيين فقط، وإنما أعضاؤها يقومون بشرح فضائح الاستعمار الانجليزي، والصهيوني في المساجد، والمنابر العامة، وخاصة أيام الجمعة "[44]

أما في فرنسا فقد قام كل من الفضيل الورتلاني، وسعيد صالحي(وهم من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بتكليف من الجمعية بنفس الدور الذي قامت به (لجنة إغاثة الشعب المسلم في فلسطين) في الجزائر من مساندة الشعب الفلسطيني إعلاميا وماليا في أوساط المهاجرين هناك .[45]

ومن أجل نفس الغاية قام حزب الشعب الجزائري من خلال لجنة الدفاع عن فلسطين التابعة له بافتتاح اكتتاب عام لجمع الأموال لصالح فلسطين: "وأعلنت أنها بصدد إرسال ما تحصلت عليه يوم 01 سبتمبر 1937، وفي 16 من هذا الشهر أرسلت ما قيمته خمسة ألاف وستة مائة وأربعين فرنك (5640 ف.ف)، كما احتجت هذه اللجنة لدى الحكومة الفرنسية علي مصادرة كمية من الأوراق من مال فلسطين."[46]

ونورد هنا نص الاكتتاب الموجه من هذه اللجنة للشعب الجزائري طلبا للتبرع والدعم: "أيها المسلم الجزائري، إن الدرهم الذي تدفعه في سبيل إغاثة فلسطين الشهيدة تسجل به صحائف المجد لبلادك، أحرم نفسك كمالياتها، في سبيل من يريقون دماءهم في ميدان الجهاد الشريف، اقطع من فمك لقمة

44 - نفس المرجع، ص 279- 280.

45 - ميلود فتاتة ، نظرة الحركة الوطنية الجزائرية لقضايا التحرر في المشرق العربي 1930- 1954 (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الجزائر، سنة 2008، ص 110 .

46 -ميلود فتاتة ، نفس المرجع، ص 111 .

الطعام لمناصرة إخوانك الذين يموتون في سبيل الدفاع عن حرمة العرب والإسلام. لمثل هذا فليعمل العاملون."[47]

بعد الحرب العالمية الثانية، واتضاح النوايا الاستعمارية في تجسيد وعد بلفور الذي قدمته الحكومة البريطانية للحركة الصهيونية سنة 1917، والذي ينص على دعم هذه الحركة من أجل إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، مع اتضاح هذه النوايا زاد حجم الدعم والإسناد، وكان رد فعل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (الاسم الجديد لحزب الشعب): "..هو ما قام به مناضلوها في مدن باريس، وليون الفرنسيتين، لتعبئة الجزائريين في مختلف المؤسسات الشمال إفريقية لتجنيدهم لصالح القضية الفلسطينية، فقد جمعوا أيام 25- 26- 27 جانفي 1948 مبلغا قدره أربعة عشرة ألفا وستمائة وسبعين فرنكا فرنسيا[14670 ف.ف]"[48]

ويلاحظ هنا التركيز على المهاجرين في فرنسا في جمع الأموال، ربما بحكم تحسن ظروفهم المادية، ومدا خيلهم المالية من جهة، وحرية الحركة لديهم مقارنة بالسكان في الجزائر.

أما الهيئة التي كان يرأسها الشيخ البشير الإبراهيمي أي (الهيئة العليا لإغاثة فلسطين)، فقد استطاعت جمع مبالغ مالية معتبرة، "وقدمت من طرف بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى سفير مصر أحمد عبد الحق ثروت في باريس لقاء إيصالات رسمية، ليدفعها إلى الجامعة العربية، وقد فعل ذلك كما يروى الإبراهيمي، بحيث سأل هذا الأخير عبد الرحمن عزام باشا [الأمين

47 - يوسف مناصرية، "بعض وثائق حزب الشعب الجزائري حول لجنة الدفاع عن فلسطين العربية"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث، جامعة الجزائر (1987)، الجزائر، ص 152.

48 - يوسف مناصرية، النشاط الصهيوني في الجزائر، ص ص 271، 272.

العام لجامعة الدول العربية] بعد بضعة سنوات عن تلك الأموال فأخبره بوصولها."[49]

ومع التراجع النسبي في الاهتمام بالقضية الفلسطينية في الجزائر مع مطلع الخمسينات بحكم الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها علي مستوي الحركة الوطنية ، فضلا عن التداعيات السلبية لنكبة الجيوش العربية أمام العصابات الصهيونية سنة 1948، بدأت مواقف التأييد والدعم تخفت وتتراجع تدريجيا، ومع ذلك نسجل هنا الزيارة التي قام بها الشيخ الطيب العقبي إلى فلسطين في ربيع 1950 رفقة كل من ابن حورة[50] وعباس التركي[51] برعاية من الحكومة الفرنسية.

أثارت هذه الزيارة حينها لغطا وجدلا كبيرين حول أطرافها، ومراميها، وهل كانت استدراجا للشيخ العقبي ليشارك في مخطط فرنسي لم يكن مدركا لأبعاده لصناعة بعض النفوذ في المنطقة مزاحمة للدول الكبرى خصوصا بريطانيا ،باستغلال موضوع الأحباس الجزائرية في القدس وادعاء فرنسا بضرورة إشرافها عليها .[52]

49 - ميلود فتاتة، مرجع سبق ذكره، ص 133 .

50 - ابن حورة: لا يعرف عنه الكثير، كان قاضيا، عضوا في الجمعية الخيرية التي كانت تهتم بشؤون الأوقاف الإسلامية التابعة لإدارة شؤون الأوقاف الإسلامية الأهلية الفرنسية بالجزائر، كما كان كاتبا لدار الصدقة التي تهتم بفقراء المسلمين وفي أيام الثورة الجزائرية التجأ إلى فرنسا ومات فيها، ونقل جثمانه إلى مدينة الجزائر (عن: على خطي المسلمين- أبو القاسم سعد الله، ص 151)

51 - عباس التركي: من أعيان الجزائر خلال فترة الاحتلال عرف بتجارته وغناه، اعتقلته السلطات الفرنسية سنة 1936 مع العقبي بتهمة التآمر على اغتيال المفتي محمود كحول، وعند انطلاق ثورة الجزائر أصبح مناضلا في صفوف جبهة التحرير الوطني.

52 - للتوسع في الموضوع: (وقف سيدي بومدين بالقدس والسياسة الفرنسية (1949- 1955)) في كتاب: على خطي المسلمين- أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة الجزائر، ط1، 2009، ص (136 – 161)

ما يهمنا هنا في هذه الزيارة أن العقبي خلالها: "تفقد الأحباس الجزائرية، وزار شرق الأردن والتقى باللاجئين الفلسطينيين، وتعرف على وضعيتهم الاجتماعية، وحسب بعض الروايات فإن العقبي

وابن حورة لم يكونا بمفردهما، بل رافقهما عباس التركي، وهو الذي أخذ المبلغ المالي الذي قدر بثمانية ملايين، وأوصله إلى اللاجئين الفلسطينيين بضفة الأردن، ولم يكن العقبي هو الذي أخذ المبلغ الإجمالي، وأوصله إلى الفلسطينيين، بل أخذ تسعة آلاف فقط وهي القيمة التي تبرع بها أنصاره."[53]

وحسب رواية الإبراهيمي فإن المبالغ المالية أوصلت إلى مأمنها في فلسطين، واستلموا الشهادة القاطعة عن وصولها، ورفعوا رأس الجزائر ومحوا عنها بعض التقصير."[54]

4- التطوع العسكري:

كان الشيخ العقبي أول من دعا صراحة إلى التطوع المباشر للقتال في فلسطين، في الخطاب الذي ألقاه بمناسبة يوم فلسطين الذي دعت إليه الجامعة العربية يوم 03 أكتوبر 1947.

خطب العقبي في هذا الاحتفال بنادي الترقي قائلا: " ... لإ ظهار الاتحاد العملي، والتضامن الفعلي سأحمل راية الجهاد، وأذهب بنفسي تاركا الأهل والولد."[55]

وقد عبر العقبي عن هذه الرغبة، رغبة كل الجزائريين في برقية أرسلها إلى عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية، ومحمد أمين الحسيني المفتي الأكبر لفلسطين في 07 أكتوبر 1947 عقب التجمع المنعقد في 03 أكتوبر بنادي الترقي، مما جاء فيها:

53 - أحمد مريوش ، مرجع سبق ذكره، ص 423.

54 - نفس المرجع ، ص 422.

55 - نفس المرجع، ص 413.

"...الشعب المسلم الجزائري يؤكد لكم إخلاصه العميق، وارتباطه المتين قلبا وقالبا بكم ... وارتفعت أصواتهم بالاحتجاج الصارخ ضد مشروع التقسيم. أعلنوا عن رغبة ولهفة استجابتهم لكل قضية، واستعدادهم التام للانخراط في صفوف المتطوعين للدفاع عن فلسطين، وحماية تلك البلاد المقدسة من عدوان المعتدين، وإني شخصيا قد عزمت عزما أكيدا على رفع راية الجهاد على رأس هؤلاء الآلاف من المضحين تلبية لداعي الإيمان بمبدأ ديمقراطية الإسلام الحق، ومقاومة الصهيونية الباغية المتقمصة لثوب الاستعمار."[56]

لقد آثار هذا التصريح القوي والواضح، الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وجعلها تكثف من متابعتها لتحركات الجزائريين، ونشاطهم في دعم القضية الفلسطينية، كما أن وسائل الدعاية الاستعمارية حاولت رصد هذه التحركات، والتهوين من شأنها، مثل التشكيك في مصير الأموال المجمعة في حملات التبرع، وكذلك في جدوى وقدرة الجزائريين على التطوع للقتال في فلسطين، وكل هذا ضمن محاولات زرع اليأس والإحباط في نفوسهم، وبالتالي صدهم عن الاهتمام بما يحدث هناك.

رغم كل ذلك استطاع عدد كبير من الجزائريين اختراق الحدود، وتجاوز كل الصعوبات باتجاه فلسطين، "وبالفعل التحق الكثير من الجزائريين بالجيش السوري وشاركوا في المعارك بفلسطين ضد الكيان الصهيوني، وارتقوا إلى عدة رتب عسكرية، ونالوا وسام فلسطين التذكاري، وسلمهم الأمين العام لجامعة الدول العربية شهادات شكر وتقدير على ما قاموا به من التضحية في سبيل قضية فلسطين."[57]

56 - نفس المرجع، ص 414.

57 - يوسف مناصرية، مرجع سبق ذكره، ص 309.

ولقد شهدت حركة التطوع تصاعدا مع اندلاع حرب 1948، وكان للهيئة العليا لإعانة فلسطين، دورا محوريا في ذلك إذ: "سرعان ما شرعت الهيئة في تجهيز المتطوعين وإرسالهم إلى فلسطين، حيث جهزت قرابة 100 مجاهد، وأرسلتهم إلى ميدان الجهاد المقدس بفلسطين، هذا عدا الذين تكفلوا بأنفسهم."[58]

وبالإضافة إلى هؤلاء الذين كانت انطلاقاتهم من الجزائر نحو فلسطين، فإن عددا آخر من الجزائريين تطوع متجندا من الأراضي التونسية، والليبية، أو من بلاد المهجر، وتحديدا من فرنسا.

ليس من السهل إحصاء عدد هؤلاء المتطوعين سواء قبل أو بعد 1948 لاعتبارات كثيرة ذكر الباحث عبد الغني إبراهيم بلقيروس[59] بعضها مثل:

- أن معظم المشاركين في حرب 1948 العائدين بعدها استشهد خلال الثورة التحريرية، فقد كانوا من أوائل من لبى نداء الجهاد سنة 1954.

– أن الكثير من الوثائق والصور الخاصة بمشاركة هؤلاء في فلسطين، قد أتلفت خوفا من حملات التفتيش التي كانت تقوم بها القوات العسكرية والأمنية الفرنسية خلال ثورة التحرير لمنازل الجزائريين.

– أن أغلب الشهادات والكتابات الموثقة لحرب 1948 تشير إلى المتطوعين القادمين من بلاد المغرب العربي بالمغاربة بدون تحديد، وهو ما يصعب من مهمة تحديد تمييز الجزائريين عن غيرهم.

إن الأشكال الأربعة التي ذكرناها في هذا الموضوع لتفاعل الجزائريين مع القضية الفلسطينية تبين بوضوح مدى الارتباط الذي كان قائما وموجودا عندهم اتجاهها، ولم تمنعهم ظروف الاحتلال، وما ارتبط من تضييق سياسي وتهميش

58 - عبد الغني بلقيروس، مرجع سبق ذكره، ص 54.

59 - صاحب كتاب (صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين 1948- 1949).

اقتصادي واجتماعي من أن يكون لهم حضورهم مثلهم مثل باقي العرب والمسلمين في هذه القضية المركزية.

صحيح أن الاهتمام بالقضية الفلسطينية سجل تراجعا مع بداية الخمسينات وخلالها نظرا للتطورات الداخلية التي كانت تشهدها الجزائر من جهته، وهدوء الأحداث في فلسطين نفسها بعد هزيمةأو نكبة 1948 من جهة أخرى.

ولكن هذا التراجع في الاهتمام لا يعني التسليم بالأمر الواقع، بقدر ما يعكس تحولا في الأولويات، عبر عنه محمد خيضر ممثل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في القاهرة في 14 جانفي 1954، أمام اللجنة السياسية للجامعة العربية قائلا: "... إذا كانت فلسطين قد مثلت للإمبريالية جسرا صهيونيا نحو المشرق، فإن الجزائر تمثل قاعدة انطلاق للهيمنة الإمبريالية في المغرب العربي."[60] وهو ما يعني أن التفرغ للجزائر من أجل تحريرها من الاحتلال الفرنسي صار موازيا للتفرغ من أجل تحرير فلسطين.

60 J.p - chagnollaud, op. Cit, P 86, 87.